الدرس اللغوي العربي الحديث الأزمات وإشكالات التلقي

The modern Arabic language lesson, crises and problems of reception

عبد الجليل ضيف[1,*]

1جامعة عنابة (الجزائر)، abdeldjalil.dif@univ-annaba.org

تاريخ الإيداع: 2022/09/01 **تاريخ المراجعة**:2023/01/05 **تاريخ النشر**: 2023/03/31

ملخص:

يسعى هذا العمل إلى إثارة إشكال من الإشكالات المعرفية التي تعيشها الثقافة العربية الحديثة، حيث تشهد هذه الأخيرة العديد من الأزمات في كثير من المجالات الفكرية والثقافية والاجتماعية والعلمية، ويعتبر الدرس اللغوي العربي الحديث واحدًا من أهمها، حيث اعترته منذ بداية نشأته عوائق وأزمات، كانت لها مظاهرها وتجلياتها على الخطابين: اللغوي النهضوي، وعلى الخطاب اللساني المعاصر بصفة خاصة، ويقتضي تخطيّ هذه الحال الراهنة معرفة أُطُرِهِ: التاريخي، والنظري، والإجرائي، ومعرفة لحظات تشكّله وأزمات التلقي، والعمل على تجاوزها في إطار العمل الإبستمولوجي.

الكلمات المفتاحية: الدرس اللغوي، الخطاب اللساني،التلقي،العمل الإبستمولوجي، إشكالات التلقي.

Abstract:

This work seeks to identify some of the cognitive problems known to modern Arab culture, as the latter is witnessing many crises in many intellectual, cultural, social and scientific fields. Linguistics and the Renaissance, and contemporary linguistic discourse and lesson in particular, and overcoming this current situation requires knowing its historical, theoretical and procedural framework, knowing the moments of its formation and reception crises and working to overcome them within the framework of knowledge work.

***Key words**: Linguistic lesson, linguistic discourse, reception, epistemological work, problems of reception.*

* المؤلف المراسل.

تقديم:

يعتبر الدرس اللغوي العربي الحديث من المجالات العلمية التي تعكس جانبا من أزمات وإشكالات الثقافة العربية الحديثة، والاطلاع على هذه الأخيرة ضرورة معرفية؛ حيث في ضوئها يمكن طرح الإشكاليات التالية: ما هو هذا الدرس؟ وما هي أنواعه ومعايير تصنيفه؟ وعوائقه وأنواعها؟ وإشكالات تلقيه؟ وأسباب تخلّفه وبقائه على هذه الحال المتردية؟ وماهي الاقتراحات العلمية والعملية التي يجب اتّباعها لتجاوزها؟ من أجل بناء نظرية لسانية عربية حديثة في ظل وعي لساني عربي يدرك جيّدًا الخلفيات الفكرية للدرس اللساني العام، ومنطلقاته النظرية والمنهجية، وتياراته المختلفة وأبعادها الإبستمولوجية، حتى يتمّ الخروج من هذا الوضع الذي تعيشه اللسانيات العربية المعاصرة، ومواكبة التطورات اللسانية في الدرس اللساني الغربي الحديث.

عرفت الثقافة العربية الحديثة بداية من عصر النهضة انفتاحا واسعا على نظيرتها الغربية في العديد من المجالات الفكرية والثقافية، وكان للدرس اللغوي حصته من هذا الاتصال بين الحضارتين؛ حيث تلقّى العرب هذه الأفكار الوافدة إليهم وعملوا على استثمارها في العديد من الأغراض، ويلاحظ المتتبع لهذه المراحل أن: ((النشاط اللغوي العربي الحديث أفرز إجمالا خطابين لغويين متميزين: خطاب لغوي نهضوي وخطاب لساني معاصر))[1]، ولكل منهما خصائصه ومميزاته التي تعكس المؤثرات والعوامل الفاعلة فيه والباعثة على سيره في اتجاه معين، معرضا عن آخر، وما الذي حمل رواد هذا الاتجاه على تبنّي إيديولوجية ما؟ مثل فكرة القومية والنهوض بالأمة العربية فكريًا وحضاريًا وحملها على مواكبة التطورات الحاصلة في العالم الغربي، وغيرها من الأسباب التي تقف وراء بروز مثل هذه الخطابات اللغوية في العالم العربي.

أولا-أصناف الدرس اللغوي العربي الحديث:

1-الخطاب اللغوي النهضوي: و أنواعه وموضوعه وغايته ومنهجه:

يؤرخ للنهضة العربية الحديثة منذ حملة نابليون بونابرت على البلاد العربية، ويطلق على هذه الحقبة الزمنية بعصر النهضة العربية الحديثة، والمعيار الذي تمّ على إثره هذا التصنيف، معيار زمني، وهكذا العلماء يضعون معايير معيّنة لتصنيف الحقائق والأشياء، ومنه تقسيم الدرس اللغوي العربي الحديث إلى الأقسام السالف الإشارة إليها وعليه فالمراد: ((بالخطاب اللغوي النهضوي كل الكتابات التي ظهرت في الفترة الممتدة ما بين بداية النهضة العربية ومنتصف القرن العشرين. يبدأ بعمل رفاعة الطهطاوي ((التحفة المكتبية لتقريب قواعد اللغة العربية/1869)) لينتهي مبدئيا مع ظهور أول مؤلف عربي في علم اللغة الحديث في بداية الأربعينات من القرن العشرين مع علي عبد الواحد وافي))[2]؛ فهو بذلك مرتبط في بداية نشأته بعوامل: زمنية، ومكانية، كان لها آثارها الفكرية والثقافية والاجتماعية والحضارية على المجتمع العربي؛ إذ كلها يعمل في الآخر؛ ولهذا فإن معرفة الإطار التاريخي لأيّ علم من العلوم المراد دراستها يعد ضرورة معرفية؛ تساعد صاحبها على إجلاء الالتباسات المحيطة به، ولذلك فإن هذا الخطاب اتسم بالعديد من السمات التي رافقته لحظة تشكّله وفي مراحل نموه وتطوره، وهي بذلك تعكس الأبعاد الفلسفية والإيديولوجية له.

أ-الخطاب الاستشراقي:

يتقاطع الخطاب الاستشراقي مع الخطاب اللغوي النهضوي زمانيا؛ حيث يمثّل الأول مرحلة هامة في تاريخ الفكر اللساني العربي الحديث، ويرجع سبب ظهوره ونشأته إلى: ((اهتمام الغرب المسيحي باللغة العربية وثقافتها.

ونقصد به[هنا]الخطاب الاستشراقي المكتوب باللغة العربية الذي شكّل مصدرًا هامًا للبحث اللغوي العربي الحديث سواء من حيث اتسامه بجملة من السمات النظرية أو المنهجية...أو من حيث علاقته الوثيقة ببعض المناهج اللسانية))[3]، فله الفضل في اطلاع الثقافة اللغوية العربية على الدرس اللساني الغربي الحديث، وهذه المناهج لم تكن معروفة عند العرب المحدثين؛ يقول حافظ إسماعيلي علوي: ((فإن أبواب التحديث لم تفتح على مصراعيها إلا بعد انتداب مجموعة من المستشرقين للتدريس في الجامعة المصرية بداية من سنة 1907 من أمثال: برجشترايسر، وجويدي، وليتمان، وغيرهم....،فكانت الفرصة مواتية بشكل أكبر للاطلاع على مبادئ علم اللغة في مفهومه الجديد))[4]؛ والمراد بهذا الأخير مناهج البحث اللغوية الغربية: التاريخي والمقارن، والمنهج الوصفي، حيث تمّ تَعَرُّفُ الدرس اللغوي العربي عليها، وظهرت كتابات فيما بعد في ضوئها كما يلاحظ ذلك في بعض المؤلفات، وعليه يعتبر هذ الصنف من الخطابات التي مهّدت لظهور علم اللغة عند العرب في العصر الحديث.

تعددت الموضوعات التي عالجها اللغويون النهضويون؛ ولذلك تنوعت كتاباتهم، يقول مصطفى غلفان في ذلك: ((وتتعدد الكتابات النهضوية من حيث مصادرها ومنطلقاتها الفكرية والمنهجية ممّا جعلها تسير في اتجاهات متعددة تتقارب أحيانا لدرجة التداخل في الموضوع والهدف وتتباعد لدرجة التناقض))[5]؛ إلا أن الغالب على هذا النوع هو عنايته بالتراث اللغوي العربي القديم والإشادة به وتقديسه، وقد نتج عن ذلك صراع بين طائفتين اثنتين: تسعى كل منهما إلى إثبات صواب ما تبنّته؛ ويتجلى ذلك في: إعادة قراءة التراث، وشرحه وتوضيحه للمتلقين، بينما تعمل نظيرتها على نقده وإبراز مواطن ضعفه والعمل على تجديده، هذا وإن تباينت وجهات النظر فهناك قواسم مشتركة بينهما: منها الاهتمام بالتراث والاشتغال عليه واتخاذه موضوعا والانطلاق منه، وفي ظل هذين التصورين نشأ الخطاب اللغوي النهضوي العربي، وتنوعت اتجاهات كتاباته منها:

ب-الاتجاه التقليدي:

برز الاتجاه التقليدي في العالم العربي الحديث كرد فعل على أصحاب الأفكار الدّاعية إلى الإعراض والتّخلي عن القديم والانخراط في ما هو جديد قد ظهر في العالم الغربي؛ وهو تيار فكري شمل العديد من المجالات، ففي ميدان الأدب يمثل البارودي وأتباعه التيار الإحيائي -المدرسة التقليدية- أو ما يطلق عليها كذلك بالكلاسيكية؛ ويقصد به في اللسانيات: ((اتجاه تقليدي صرف يعيد شرح وتوضيح ما قاله النحاة واللغويون العرب القدامى ويجتهد في الدفاع عن هذا القديم والاحتجاج له))[6]، ويمثله مجموعة من الباحثين واللغويين العرب الذين انصبّت أعمالهم في هذا المجال، أمثال: حفني ناصف، ومحمد دياب، ومصطفى طمّوم، ومحمود عمر، وسلطان محمد، ومحمد كرد علي، وإبراهيم حمروش، وغيرهم من الذين شكّلوا هذا الاتجاه اللغوي التقليدي؛ وهم يريدون بذلك تقديم التراث اللغوي العربي القديم للمتلقي وشرحه وتفسيره والذّب عنه.

ج-الاتجاه المدرسي:

تلعب الغاية دورا بارزا في وضع الأسس والاستراتيجيات من أجل الوصول إلى الغرض المطلوب من عمل ما؛ ويتجلّى هذا المنحى في العديد من الاتجاهات، كما يبرز ذلك في الاتجاه المدرسي في عصر النهضة العربية الحديثة حيث: ((توخّى تبسيط النحو العربي القديم وإصلاح تعليمه واختصاره في لغة حديثة ميسرة للجميع))[7]، والهدف تقريب هذه المعرفة للطلبة وتبسيط هذه المادة اللغوية التي أصبحت صعبة المنال حتى يتسنّى لهذه الفئة فهمها

واستيعابها؛ ويعود ذلك للعديد من الأسباب والخلفيات الفكرية التي ظهرت في هذه الحقبة الزمنية، ويعكس هذا المنحى أعمال: حسن المرصفي في مؤلفه الوسيلة الأدبية ومؤلفات علي الجارم، ومصطفى أمين، مثل: النحو الواضح، والبلاغة الواضحة؛ حيث ورد في هذا الأخير القول التالي: ((فهذا كتاب وضعناه في البلاغة...رجاء أن يجتلي فيه الطُّلاب محاسن العربية...ويدرسوا من أفانين القول...وتوجيه أذهان المعلّمين والطُّلاب إلى هذه الطريقة التي ابتكرناها في دراسة البلاغة))[8]، فالهدف التعليمي يطفو على سطح هذه المصنفات، في ضوء تسهيل هذه العلوم العربية تعلّما وتعليمًا.

د-الاتجاه النقدي:

يعمل الدراسون من أجل تطوير المعرفة العلمية، وهذه الأخيرة تَقَدُّمُهَا مرتبط بنقد مراحلها السابقة وإبراز مَوَاطِنَ قوّتها وضعفها؛ فتعمل على دفع الأول، وإصلاح إخفاقات الثاني وتقويمه وتوجيهه، ويهدف هذا الاتجاه إلى نقد الدرس العربي القديم حيث: ((حاول إعادة النظر في فلسفة النحو العربي وأصوله من خلال التركيز على عوامل التقعيد وضعف منهجية القدماء سواء في تقديم المادة اللغوية أم في التقعيد النحوي))[9]، كما تعكس ذلك كتابات شوقي ضيف في مؤلفه تجديد النحو، وإبراهيم مصطفى في كتابه إحياء النحو، وغيرهم من الدارسين الذين رسموا معالم هذا الاتجاه، والملاحظ أن هناك تقاطع وتداخل بين هذا الاتجاه الأخير والاتجاه المدرسي؛ لأن نقد التراث وإبراز مواطن ضعفه يمثّل نقطة تقاطع والتقاء بينهما موضوعا ومادة وغاية.

هـ-الاتجاه العملي:

العلاقات بين الحضارات والأمم علاقة تأثير وتأثر، وباعتبار الثقافة الغربية الحديثة حاضرة بقوة في العصر الحديث، حيث تزخر بكثير من المعطيات والمكوّنات، كما تتميز على باقي الحضارات الأخرى بتقدّمها في الجانب المادي من صناعة وزراعة وغيرها؛ فإنه قد كان لهذا تأثيره على الثقافة العربية الحديثة: ويعود ذلك لعدة عوامل: منها الحاجة الملّحة للقيام بالعالم العربي والنهوض به فكريا وعلميا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا؛ وهو ما يفسّر ظهور الاتجاه العملي إذ: ((دعا إلى تطوير أساليب اللغة العربية وتحريرها من قيود التقليد كي تواكب التطورات الحضارية والعلمية التي تفرضها الحياة العربية الحديثة))[10]، وبالتالي شكّلت هذه المطالب حافزًا مهما في نشأة هذا الاتجاه الذي اهتم باللغة في ظل ما تفرضه متطلبات العصر، على نحو ما هو في موجود العالم الغربي الحديث، وربما وقف وراء هذه الحال باعث القومية، لأن لهذه الأخيرة دورها في دفع المجتمع العربي في المضي قُدُمًا بالاعتناء بالمظهر المادي؛ ويتمثل في الجانب اللغوي في ظهور مصطلحات لم تكن معروفة في الثقافة العربية.

و-الاتجاه التاريخي المقارن:

نشأت اللسانيات التاريخية المقارنة في القرن التاسع؛ أي تزامنا مع عصر النهضة العربية الحديثة وقد: ((أظهرت هذه البحوث التاريخية وأوضحت المشاكل العامة للبنية والتطور التي تطرحها اللغات، كما أدت باللسانيين خاصة منذ بداية القرن 20 إلى الانطلاق على أسس جديدة في بحوث ذات طابع عام وقد أدت هذه الأعمال في البداية إلى تطوير معارفنا حول شروط كل لغة))[11]؛ كما بدأت تتّضح ملامح وسمات تأثر اللغويين العرب في هذه الفترة بهذه الدراسة اللغوية التي تعتمد المنهجين: التاريخي، والمقارن حيث تقوم على المنهج التاريخي المقارن؛ ولذلك: ((أخذ نصيبًا وافرًا من الثقافة اللغوية العربية الحديثة فحاول أصحابه تقديم تصورات جديدة

للبحث في تاريخ اللغة العربية ومقارنتها بغيرها من اللغات السامية والآرية))[12]، وبذلك عرفت الثقافة العربية الحديثة هذا النوع الجديد من الدراسات اللغوية، والذي يعرف بالدرس التاريخي المقارن، ويعدّ هذا الأخير مرحلة هامة ومحطّة من المحطات الكبرى التي تعكس تطور الدراسات اللغوية في الغرب، وقد ضمّ هذا الاتجاه عددا من الباحثين العرب والمستشرقين.

ر-الموضوع والمنهج والغاية:

أما أهم المواضيع التي تناولها الخطاب النهضوي يُجْمِلُهَا مصطفى غلفان فيما يلي: ((المعجم العربي. النحو العربي. الأصول اللغوية لتنمية اللغة العربية من قياس وتعريب واشتقاق. تاريخ اللغة العربية ومقارنتها باللغات السامية الآرية. النحاة واللغويون العرب))[13]؛ فأما الأول فيتجلّى في الجهود التي قدّمتها المجامع اللغوية العربية في شتى أنحاء القطر العربي، وأما الثاني فيمثله عناية لغويي عصر النهضة بالنحو العربي شرحا وتفسيرا وإيضاحا ودفاعا عن هذا التراث القديم وتبسيطه وتسهيل عباراته وتعليمه في المدارس للطلاب، وأما الثالثة فتتجسّد في الترجمة واهتمام اللغويين العرب بها؛ من أجل مواكبة التطورات الحاصلة في العالم الغربي، والنهوض بالأمة العربية ثقافيا وفكريا واجتماعيا وحضاريا، وأما الرابع فيعالج قضايا المصطلح العربي من ترجمة وغيرها ونقل هذه الثقافة الغربية والاستفادة منها كترجمة المصطلحات التي نشأت في مهد الحضارة الغربية الحديثة، والخامس يتعلق بتأثر لغويي عصر النهضة بالدرس اللغوي التاريخي المقارن وإعجابهم بهذا النمط من الدراسة، وأما الأخيرة تتمثل في اهتمامهم بالنحو العربي ونقده في أصوله وإبراز مواطن ضعف القدماء في تقديم هذه المادة اللغوية، والعمل على تجديده وتنميته في ضوء معطيات العصر الراهن، وأما المنهج والغاية فإنهما: متعددان في الخطاب النهضوي؛ ويرجع ذلك لتنوع الموضوعات والغايات، من إحياء التراث وإعادة قراءته؛ باعتماد منهج إعادة القراءة؛ وتبسيط النحو للطلبة، باعتماد المنهج التعليمي، وتجديد النحو العربي، باستخدام المنهج النقدي وإبراز مواطن إخفاقاته والعمل على تصويبها، وغيرها من الغايات التي استدعت توظيف هذه المناهج المتعددة والمختلفة.

2-الخطاب اللساني المعاصر: أنواعه و اتجاهاته ومعايير تصنيفه:

جاء تقسيم الدرس اللغوي العربي الحديث وفقًا لإجراءات علمية ومنهجية تتفق إلى حد بعيد مع أسس ومبادئ الحوار العلمي؛ وعليه فمراعاة عاملي الزمان والمكان، ومراعاة التقدّم المعرفي لعلم أو نظرية ما ثمّ قياس مدى تطورها في ثقافة أخرى يعكس الوعي الإبستمولوجي لمبادئ قيام المعرفة العلمية في ثقافة ما، ومنه تمّ تصنيف الخطاب اللساني المعاصر إذ يراد بهذا الأخير: ((الخطاب الذي تعكسه الكتابات اللغوية التي تستند نظريا ومنهجيا للمبادئ التي قدمتها النظريات اللسانية في مختلف اتجاهاتها الأوروبية والأمريكية في إطار ما أصبح يعرف باللسانيات العامة))[14]؛ حيث تأثر اللغويون العرب بهذه النظريات اللغوية الغربية الحديثة، وعليه تجلّت هذه الأفكار والمفاهيم النظرية والمنهجية في مؤلفاتهم؛ على نحو ما هو ملاحظ عند إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللغوية، ورمضان عبد التواب وتمّام حسّان، وغيرهم من اللسانيين العرب الذين حاولوا فتح نافذة الدراسات اللغوية في العالم العربي على الثقافة اللغوية في العالم الغربي الحديث؛ من أجل الاستفادة من هذا الفكر الذي يمثّل تحوّلا معرفيا في مجال اللغويات عند الغربيين، خصوصا ومتلقي هذه الأفكار الجديدة على

وجه أعم، ومراعاةً لذلك فقد تمّ تصنيف الخطاب اللساني العربي المعاصر إلى ثلاثة أصناف من الكتابات اللسانية.

في ظل تتبع واستقراء واقع الخطاب اللساني المعاصر تجلّى للباحثين أن هناك ثلاثة أنواع من الخطابات اللسانية التي تندرج ضمن الصنف الثاني من أصناف الدرس اللغوي العربي الحديث: الخطاب اللساني التمهيدي، والخطاب اللساني التراثي، والخطاب اللساني المتخصص، ولكل منها أسسه ومرجعياته وخلفياته النظرية والمنهجية التي تقف وراء تشكّله وتبنّيه هذا الاتجاه، حيث يختلف مع غيره من الخطابين السابقي الذكر، ويتقاطع معهما في نقاط أخرى، وهذه التباينات جاءت نتيجة للعديد من العوامل التي كانت لها أبعادها الإيجابية والسلبية في بناء وتأسيس الدراسات اللغوية في الثقافة العربية الحديثة: يقول الفاسي الفهري: ((وإذا كانت اللسانيات في الأقطار العربية علما لم يكتب له أن يتقدم على غرار تقدمه في أقطار...أخرى[فإننا]لا نغالي إذا قلنا إن وضع اللسانيات في الأقطار العربية من وجهة معرفية خالصة يطبعه التشتت والتسيب))[15]، ومنه تعدد أصنافها التي تمّت الإشارة إليها؛ حيث تعكس الحال التي عليها المجال اللغوي في العالم العربي الحديث من تشتت وتضارب في الأسس والمرجعيات المعتمدة في دراسة اللغة.

أ-الخطاب اللساني التمهيدي:

يفهم هذا النوع من الخطابات بالرّجوع إلى القصد من التأليف الذي ينشده اللساني التمهيدي؛ حيث يحيل هذا الأخير على معنى التسهيل والتقريب؛ ولذلك أطلق عليه مصطلح الخطاب اللساني التمهيدي ويعنى به: ((طريقة في التأليف لا يمكن لأي علم أن يذيع وينتشر بدونها؛ لذلك من الطبيعي أن يشكل هذا النوع من التأليف إحدى الاهتمامات الأساسية لنشر العلوم وتقريبها إلى القراء))[16]؛ وبالتالي فهو يعمل في ضوء أهداف محددة كي يحققها ويصل إليها عن طريق تلقين المعرفة اللغوية، وتتضح معالمه انطلاقا من أسس إبستمولوجية، وهي معايير التصنيف الثلاثة: فموضوعه: ((يتشكّل ممّا تقدّمه اللسانيات الحديثة من مبادئ ومناهج جديدة في دراسة اللغة البشرية بصفة عامة وتعتمد المنهج التعليمي...[وغايته]تقديم اللسانيات ومفاهيمها النظرية والمنهجية للقارئ العربي...))[17]؛ لذلك وُصِفَ بأنها خطاب تمهيدي أو تعليمي؛ لأنه يستعين بالآليات التعليمية ويقصد بهذه الأخيرة: ((تلك الدراسة التي تطبق مبادئها على مواد التعليم، وهي تقدّم المعطيات الأساسية الضرورية لتخطيط كل موضوع دراسي وكل وسيلة تعليمية))[18]؛ لإطلاع القارئ العربي على النظريات اللسانية الغربية، فيتخذّها موضوعا له، ويتبع خطوات المنهج التعليمي، كالشرح والتفسير والتوضيح وتقديم الأمثلة وغيرها من الإجراءات التعليمية التي تكون وسيلة لإيصال هذه المعرفة للطلبة في الجامعات وجمهور المتلقين.

ب-الخطاب اللساني التراثي:

العلاقة بين الحاضر والماضي غالبا ما تطفو على العديد من الميادين، حيث لم تخل المجالات العلمية منها؛ وذلك ما يفسّر ظهور الخطاب التراثي في الدرس اللغوي العربي الحديث؛ حيث يهتم بالقضايا اللغوية التي تعرّض لها القدماء، ويعمل على إبرازها في ثوب جديد وتقديمها للمتلقي على أساس التعريف بهذا الموروث العلمي والحضاري الذي كان له السبق التاريخي في دراسة الظاهرة اللغوية؛ ولذلك فهو يتخذ: ((...التراث اللغوي العربي القديم في شموليته موضوعا لدراساته المتنوعة أما المنهج...[فهو]إعادة القراءة...[و]أهدافه قراءة التصورات اللغوية العربية القديمة وتأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث والتوفيق بين نتائج الفكر اللغوي

القديم والنظريات اللسانية الحديثة...[و]إخراجها في حلة جديدة تبيّن قيمتها التاريخية الحضارية))[19]، ووسم هذا النوع من الإنجازات بالخطاب اللساني التراثي؛ لأنه يسعى إلى إبراز القيمة المعرفية التي بلغها الدرس اللغوي العربي القديم والقضايا التي تناولها، ووسيلته التي يستعين بها في ذلك هي إعادة قراءته لهذا التراث والاطلاع عليه، ثم التوفيق بينه وبين ما وصلت إليه الدراسات اللسانية الغربية الحديثة بمختلف نظرياتها وتياراتها، ومن المؤلفات في هذا الشأن على سبيل التمثيل لا الحصر: أصول الألسنية العربية عند النحاة العرب لصبحي الصالح، والتفكير اللساني في الحضارة العربية لعبد السلام المسدي، والنحو العربي والدرس الحديث لعبده الراجحي، وغيرها من هذه الكتابات التي تزخر بها المكتبة العربية في هذا العصر الراهن.

ج-الخطاب اللساني المتخصص:

تنوّع الدرس اللغوي العربي الحديث، لم يكن هكذا اعتباطًا؛ بل تعكس هذه الأقسام والفروع التي عرفها أن هناك وجهات نظر متعددة في تناولها للظاهرة اللغوية في الثقافة العربية الحديثة؛ وعليه جاء مصطلح الخطاب اللساني المتخصص ليحيل إلى اهتمام اللسانيين العرب وعملهم الجاد من أجل النهوض بالدراسات اللغوية في العالم العربي الحديث وتطويره في ظل ما تمّ تقديمه في ضوء اللسانيات العامة في العالم الغربي الحديث؛ ولذلك فهو يتّخذ من: ((...اللغة العربية موضوعا[له]...ويتم النظر للغة العربية باعتبارها نسقا صوريا أو وظيفيا يمكن وصفه أو تفسيره في مختلف المستويات))[20]؛ اللغوية، ويعمل على مراعاة المبادئ والقوانين التي جاء بها الدرس اللساني العام، والتقيد بمبادئ وأسس المعرفة العلمية، وأما من حيث المنهج فهو يعتمد على المناهج اللسانية: كالمنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن، كما هو ملاحظ في أعمال الفاسي الفهري، وأحمد المتوكل، وتمام حسّان، وعبد الرحمان أيوب، وعبد السلام المسدي وغيرهم، وأما غايته فهو وصف اللغة العربية في ضوء ما جاءت به الدراسات اللسانية الحديثة من أفكار ومفاهيم على المستويين: النظري والإجرائي، ومعالجتها في هذا الإطار اللساني العام والتزامه.

د-اتجاهاته:

اللسانيات باعتبارها علمًا لغويا نشأ في الثقافة الغربية الحديثة، ثمّ بدأ يشق طريقه إلى الثقافات الأخرى، عن طريق العديد من الوسائل، منها اتصال هذه الثقافات وانفتاحها على بعض، وعليه فإن الثقافة العربية قد تعرّفت على هذا العلم، وأخذت تسعى إلى الاستفادة منه، وخاصة الاتجاه اللساني المتخصص الذي يعمل على تتبع التطورات الحاصلة في التيارات اللسانية من بنيوية أوروبية، بشتى اتجاهاتها: نسقية، ووظيفية، وسياقية، وأمريكية: سلوكية، وتوزيعية، وتوليدية مع أبرز مراحلها التي عرفتها منذ نشأتها إلى اليوم حيث: ((تسعى اللسانيات العربية المعاصرة سعيا لاهثا لاستيعاب المنجز اللساني العالمي، بيد أنه سعي تعقل خطواته كوابح مؤسسية...واستيعابها[لهذا المنجز]يمكن أن ينتج ألوانًا من التكييف والتعديل في إجراءات التحليل...وإسهامًا متميزًا في مسار الفكر اللساني الإنساني))[21]، والدراسات اللغوية في العالم العربي تحتاج إلى الاطلاع على الدراسات اللسانية الغربية والاستفادة منها شكلا ومضمونا؛ حتى يتسنّى لها بناء نظرية لسانية عربية تضاهي نظيرتها الغربية.

و-معايير تصنيف الخطاب اللساني المعاصر:

يعود تاريخ تصنيف العلوم إلى الثقافة الإغريقية، فمع أرسطو تمّ تصنيف النصوص؛ حيث يعود له الفضل في هذا الإجراء الذي استفادت منه الدراسات اللغوية، واستعانت به العلوم جميعها، في رسم الحدود والمسافات الفاصلة بين الدراسات المتداخلة؛ مثلما هو واضح جليّ في تصنيف النصوص الأدبية، ومنه فقد: ((رافق إجراء التصنيف تطّور العلوم منذ عصر النهضة، وقد ذكر ميشال فوكو أنه كان علما مستقلا بذاته من جهة، ومتصلا بعلوم الطبيعة من جهة أخرى، كعلم الحيوان وعلم النبات. فقد قامت هذه العلوم أساسا على منهجي التأصيل والتصنيف، أي البحث في أصول الأنواع أو الكائنات الحية))[22]، وهذا يعود لأثر نظرية تشالز داروين (1809-1882) في الفكر الأوروبي الحديث، والعلم بصفة عامة: ((ولما كانت اللسانيات في بداياتها الأولى في أوائل القرن الثامن عشر قد استندت في بناء منهجها العلمي على تلك العلوم الحيوية السباقة، فإنها استمدت منها أيضا إجراء التصنيف...وكان ظهورها بتأثير من الاتجاهين التأصيلي والتصنيفي الغالب على علوم الطبيعة في ذلك الوقت))[23]؛ وهذا التداخل بين المعارف العلمية والاستعانة بنفس بالطرق والمناهج في دراسة الظواهر العلمية من أجل معرفة حقائقها موجود أثره في تصنيف الخطاب اللساني المعاصر، حيث اعْتُمِدَتْ ثلاثة معايير أساسة في معرفة أنواعه؛ وهي: الموضوع، والمنهج، والغاية، وهذه الثلاثة الأخيرة هي التي مكّنت بتحديدها وضبطها رائد اللسانيات الحديثة بأن يجعل منها علما مستقلا بذاته عن الدراسات الأخرى التي تشاركها موضوعها: كعلم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة، وغيرها من الدراسات التي تتّخذ من اللغة موضوعا لها.

ثانيا-الأزمات وإشكالات التلقي في الدرس اللغوي العربي الحديث:

بناءً على مبدأ العلة والمعلول، فما هذا الأخير إلا إفرازٌ من إفرازات الأولى، وعليه يمكن القول: إن الأزمة التي تعيشها الثقافة العربية الحديثة لها دواعيها وأسبابها ومكوّناتها التي رافقتها لحظة تشكّلها في بادئ الأمر، ثمّ نمت وتسرّبت إلى كل جوانبها المتعددة: الثقافية، والفكرية، والاجتماعية، والنفسية؛ فتجسدت جُلُّ تلك السلبيات في حضارتها، ومنه فالتخلف العلمي في العلوم الإنسانية، والعلوم الطبيعية ناتج عن إرهاصات نشأتهما، وعدم إدراك الكثير من الخلفيات الفكرية والفلسفية والعلمية لهما، وخاصة أن هذه المعارف قد ظهرت في ثقافة أخرى لها أسسها ومقوّماتها الفكرية التي تنطلق منها، وتتباين مع غيرها، وفي ظل هذا فإن الدرس اللغوي العربي الحديث لم يكن بمنأى عن هذه الأزمات التي طالت الحضارة العربية الحديثة في كل مجالاتها: ((من خلال إطلالة لما هو سائد في الأدبيات العربية راهنا، يلاحظ أن النشاط اللغوي العربي يعيش مرحلة جديدة كمًا وكيفًا، يتجلى ذلك في الاهتمام المتزايد باللسانيات وفروعها المختلفة...إلا أن هذا الاهتمام يجب أن لا يخفي عنّا حقيقة موضوعية تتمثل في كون الدرس اللساني العربي الحديث لم يعط بعد ما كان متوقعًا منه))[24]، وهذه الحال ليست وليدة اليوم بل تعود بوادر نشأتها إلى الفترة التي بدأت فيها إرهاصات تشكّل الخطاب اللغوي النهضوي، ثمّ امتدت فشملت الدرس اللساني المعاصر بكل أصنافه، وعليه يجب الوقوف على هذه الأزمات والعوائق في هذين الخطابين التاليين، وتتبع هذه المراحل التي مرّ بها الدرس اللغوي العربي الحديث بصنفيه، وإجلائها حتّى يتسنّى للمتلقي إدراكها والعمل على تجاوزها ومعالجتها في إطار العمل والوعي الإبستمولوجي بالدرس اللساني الغربي الحديث وتياراته المتعددة.

1-في الخطاب اللغوي النهضوي الأزمات وإشكالات التلقي وتجلياتها:

الأزمة اللغوية في العالم العربي أساسها في المنطلقات والمفاهيم، وذلك منذ الانفتاح على العالم الغربي (1798-1801)؛ حيث لا يمكن بحال من الأحوال فهم الدرس اللغوي العربي الحديث من دون العودة إلى بداياته الأولى والمتمثلة في عصر النهضة العربية الحديثة واستقرائه ومعرفة لحظات نشأته وتكوّنه، والثقافة المهيمنة في تلكم الحقبة التاريخية باعتبار تأثر المعارف بالنموذج السائد، وقد تأثر لغويو عصر النهضة العربية بالعديد من الأفكار والخلفيات الفكرية والفلسفية والاجتماعية التي تجلّت في خطابهم اللغوي ومؤلفاتهم، وكان ذلك نتيجة للأحداث التي عاصروها:((ويمكن أن نلخص أهم التحولات التي كان لها علاقة بالجانب اللغوي في مسألتين جوهريتين:[الأولى]الإحساس بأهمية الماضي الحضاري[والثانية]تنامي الشعور القومي))[25]؛ وقد كان لهاتين الأخيرتين دورهما في تأسيس الدرس اللغوي العربي الحديث بصفة عامة وعلى الخطابين: النهضوي، واللساني بصفة خاصة، ففي الخطاب النهضوي: ((انصب الاهتمام على هذا الجانب لأهميته في وصل الماضي بالحاضر، والمفاخرة بالإرث الحضاري، واعتباره الذخيرة الروحية للأمة واستتباب الوعي القومي، والشعور بالجوانب القومية الموحدة، سواء كانت عرقية أم لغوية أم ثقافية فشكّلت هذه الأسس مرتكزات السياسة والفكر والمجتمع))[26]؛ وعليه يمكن القول: بتأثير النزعة القومية في الدراسات اللغوية النهضوية واعتبارها مرجعية من مرجعياتها، وكذلك الاعتناء بالماضي والإحساس بمكانته وعظمته وتمجيده؛ فكلها عوامل أسهمت في نشأته وظهوره كما كانت أسبابا في أزماته وإشكالات تلقيه.

أ-على مستوى المنهج:

تقوم العلوم على تحديد الموضوع والمنهج والغاية، ويقف وراء عدم ضبطها في الخطاب اللغوي النهضوي عدة عوامل: أبرزها عامل القومية الذي نتج عنه عدم وعي لغويي عصر النهضة العربية الحديثة بالأسس الفكرية والعلمية والنظرية والمنهجية للخطاب اللساني الغربي في بداية القرن التاسع؛ حيث ظهر في هذه الفترة الخطاب التاريخي المقارن، ومع مطلع القرن العشرين حيث بدأت تتجلّى ملامح الدرس اللساني الوصفي مع نشر المحاضرات، حيث لم يدركوا الخلفيات الإبستمولوجية لأن: ((اللسانيات...علم يجيد الاندماج مع علوم عدّةٍ بطريقة لا تفقده هويته، إنما تكسبه قدرة على الاستمرار...فهو من جهة يسعى وراء علوم الطبيعة، ويستعير أدواتها وإجراءاتها))[27]؛ حيث أسهمت هذه السالف ذكرها في تشكيل اللسانيات الغربية، ومنها تأثر اللسانيات التاريخية المقارنة بعلوم الطبيعة ونظرية النشوء والارتقاء مع تشارلز داروين، و كذلك عدم وعيهم بالمناهج المعتمدة في هذه الاتجاهات؛ إذ: ((علم اللسانيات التاريخي يتابع تطور اللغة على مرّ الزمن، في حين يقوم علم اللسانيات المقارن على مقارنة منظومتي لغتين محددتين أو أكثر من أسرة لغوية واحدة، ويحدد منهجا للبحث يمكن بواسطته وضع مجموعة من اللغات بعضها إلى جانب بعض؛ للمقارنة والوصول إلى الروابط والعلاقات فيما بينها))[28]؛ والمتتبع للكتابات العربية في هذه الحقبة الزمنية يلاحظ غياب الوعي المعرفي بالأسس والمنطلقات على مستوى المنهج، ولو أن هناك بعضها تبدو متأثرة بها مثلما: ((ظهرت ملامح الاتجاه[التاريخي المقارن]في كتابات بعض النهضويين من أمثال اليازجي (1801-1871)، ورفاعة الطهطاوي (1801-1873) وجرجي زيدان (1814-1861) وغيرهم))[29]؛ من اللغويين في عصر النهضة العربية الحديثة.

وقد: ((ألقى اليازجي سنة 1881 محاضرة بعنوان: ((أصل اللغات السامية)) وقف فيها على حدود الأصل المشترك الذي يجمع العربية والعبرية والآرامية. ويظهر المنهج التاريخي في عمل اليازجي واضحا في تركيزه على تصنيف اللغات بحسب قرابتها ووجود لغة أصل لكل أسرة على حدة...[وكذلك]عند الطهطاوي...[و]مدى تمكنّه من أصول الاتجاه[التاريخي المقارن من خلال مقارنته بين العربية والفرنسية ومن تجلياته عند جرجي زيدان في كتابه الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية عند]مقارنته بين العربية والعبرانية ولغات أخرى))[30]فهذه الأعمال تعكس اطلاعهم على المناهج اللغوية، وعدم تصريحهم بالخلفيات الإبستمولوجية التي قامت عليها اللسانيات الغربية الحديثة يدل على عدم وعيهم بالتداخل بين هذه المعارف العلمية وأثرها في نشأة اللسانيات الغربية الحديثة وتأسيسها.

ب-على مستوى الغاية والموضوع:

تتداخل العلاقة بين الغاية والموضوع إلى حد بعيد؛ حيث يستعصي غالبا الفصل بينهما؛ ويعدّ هذان من الإشكالات التي عرفها الخطاب اللساني النهضوي؛ ويعود ذلك لتعدد الخلفيات الفكرية والمنطلقات التي يرمي إليها رواده، وتعدد المواضيع التي عالجوها، وإن كانت هناك قواسم مشتركة عامة؛ مثل الاشتغال على اللغة العربية، إلا أن اتجاهاته تتباين وتتداخل من حيث المناهج الغايات وهي بذلك متعددة، فما يقصده الاتجاه التقليدي يتباين مع ما ترمي إليه الاتجاهات الأخرى، فهو يتعارض مع الاتجاه المدرسي، يقول علي الجارم، ومصطفى أمين في كتابهما النحو الواضح: ((ولقد بلونا التعليم طويلا. وأحطنا بالتلاميذ خبرًا، ودرسنا عقولهم وميولهم وغرائزهم، وقرأنا حاجة في نفوسهم صعُب نيلها، وعزّ قضاؤها، ورأيناهم يسيرون في شوك وقتاد، ويجاهدون في غير جهاد، فتلجلج في صدورنا أ ن نضع لهؤلاء التلاميذ كتابا في القواعد، يجري معهم على قدر خطاهم، ويكشف لهم من مسائل العلم ما يلائم عقولهم ويأخذ بأيديهم في طريقة ممهّدة هونا إلى الغاية))[31]، وهذه الأخيرة تفرض منهجًا محددًا ووسائل معينة من أجل بلوغها وتحقيقها، لتيسير وتسهيل الدرس النحوي والصرفي والإملائي والبلاغي للتلاميذ.

وقد جاء ذلك نظرًا للحال الرّاهنة التي تعيشها المدرسة العربية في تلكم الفترة ومعالجةً لإشكالاتها، وتتجلّى في صعوبة استيعاب أفرادها هذه المادة المعرفية وفهمها، ثمّ إنشاء هذه المؤلفات مثل: النحو الواضح، والبلاغة الواضحة، وجامع الدروس العربية لمصطفى الغلاييني، والدروس النحوية لحفني ناصف في كتابه الدروس النحوية، للقيام بهذا الغرض، وذلك لأن: ((الشخص يتعلم في الغالب إذا كان لديه هدف واضح يتّجه إليه بنشاطه فيسخّر ما عنده من استعدادات في اكتساب الوسائل التي تساعده على الوصول إلى هذا الهدف وحل الموقف المشكل))[32]؛ وهذا ما يفسّر ظهور هذه الأعمال معتمدة هذا المنهج التعليمي، الذي يستخدم خطوات نظرية ومنهجية لتيسير هذه المعرفة وتقديمها للتلاميذ، وتوضيحها، وإرشاد المُدَرِّسِينَ إلى كيفية تلقينها لهم باتباع إجراءات المنهج التعليمي الذي يراعي في مراحل اشتغاله عدة جوانب، وهو في هذه المرحلة تحرّكه عدة خلفيات فكرية ودواعٍ: منها الاجتماعي، ومنها الثقافي، ومنها الحضاري: ومن أمثلته ما جاء في النحو الواضح قول صاحبيه عن الغاية منه: ((ويبعث فيهم حب العربية، وأنها لم تكن لغزًا ولم تكن طلسمًا، ولم تكن شبحًا مخيفًا، بل آيات بيّنات، من اللسان العربي الشريف، مهد عزهم، ومصدر فخرهم، ومجد وطنهم))[33]؛ وفي هذا يتقاطع ويتداخل الاتجاه التعليمي مع الاتجاه التقليدي الذي يعمل على إعادة شرح التراث وتقديمه للمتلقي والإشادة به وبمزاياه

وبقيمته المعرفية، وفي ظل هذه التصورات والاتجاهات المتعددة للخطاب النهضوي، اعترى هذا الأخير العديد من الأزمات والإشكالات التي كانت أسبابا مباشرة في عدم معرفتهم بالمناهج اللغوية في الثقافة الغربية الحديثة السائدة آنذاك.

2-الخطاب اللساني المعاصر أزماته وإشكالاته:

أ-على مستوى المنهج:

أزمة المنهج في الدرس اللغوي العربي الحديث من القضايا التي تعكس الحال المتردية التي تعيشها الدراسات اللغوية في الثقافة العربية الحديثة، لأن الدراسة المتقيّدة بأسس المعرفة العلمية لا تقوم إلا بضبطه وتحديده بدقة؛ إذ هو:((...الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة))[34]؛ وفي ضوئه يتمّ استخلاص الحقيقة العلمية بطريقة لا تتعارض مع مبادئ العلوم؛ وبهذا يمكن وصفها وتفسيرها والبرهنة عليها، وممّا يبرز أزماته والإخلال به في الخطاب اللساني المعاصر تعدده في أنواعه الثلاثة: التاريخي، والتمهيدي، والمتخصص؛ حيث يعتمد الأول على منهج إعادة القراءة؛ بالرجوع إلى التراث اللغوي العربي ويقصد: ((بهذه العبارة جملة من دوائر التفكير اللغوي عند العرب في عهود التأسيس للنظرية المعرفية العربية، والتي تليها إلى حدود القرن الهجري الثاني عشر، دون أن يعني الأمر استقصاءً شاملاً لجميع ما أُلِّف وصدر منتميًا إلى هذه الفترة الممتدة))[35]، والعمل على إظهار مدى ما توصّل إليه من التّقدّم المعرفي ومقارنته بالنظريات اللسانية الغربية الحديثة، وفي ذلك يتجلّى عدم الوعي بالعلوم المتضافرة التي استعانت بها اللسانيات الغربية الحديثة في تأسيسها وقيامها؛ ويتمثّل ذلك في الأبعاد الإبستمولوجية: الفكرية، والفلسفية، والعلمية.

بينما يعتمد الثاني المنهج التعليمي، ومن إشكالاته إبعاد وتجاوز الكثير من المعارف والحقائق المعرفية نظرًا لتلبية هذه الغاية التعليمية، مثل: ((مراعاتها لمستوى القارئ المستهدف؛ ولذلك لم تحشره في قضايا هو في غنى عنها...[و]تركيزها على القضايا الأساسية...[و]الإكثار من الأمثلة التوضيحية))[36]؛ وبالتالي فهذا الخطاب تعتريه عدة عوائق وإشكالات: منها عدم الوعي المعرفي والتصريح بالعلوم البينية والخلفيات الإبستمولوجية لهذه النظريات والتيارات اللسانية الغربية الحديثة التي يسعى لتقديمها للمتلقي العربي، وأمّا الخطاب اللساني المتخصص من حيث المنهج فهو يعتمد المناهج اللسانية الغربية الحديثة، التاريخي المقارن، والوصفي، وفي هذا الصنف: ((بالنسبة إلى المنهج، يلاحظ الباحث أزمة اللسانيات العربية أزمة منهجية تكمن في غياب المنهج القادر على وصف اللغة العربية صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا...))[37]؛ وفي هذا تتجلّى العوائق والإشكالات الإبستمولوجية للدرس اللساني المعاصر عموما، والخطاب اللساني المتخصص على وجه التحديد، فمنها عدم تحديد الإطار النظري والمنهجي الذي يتناوله هذا الصنف؛ لأن عدم تحديد الباحث للنموذج الذي تندرج فيه دراسته، ينتج عنه الخلط بين النماذج اللسانية: ((وبالفعل فإن خطابنا اللساني العربي الحديث المحمّل بهذا النوع من التصورات الخاطئة للعلم والمنهج وللنظرية والتطبيق والمواقف الفكرية الملتبسة ليس بإمكانه أن يقدّم شيئًا جديدًا في دراسة اللغة العربية من منظور لساني، أو أن يسهم كثيرا في نشر وعي لساني))[38]، معاصر يضاهي فكريًا وعلميًا ومعرفيًا الدرس اللساني الغربي الحديث، ويعمل على تطوير واقعه اللغوي، وتخطِّي الحال الراهنة

التي تعيقه عن التقدم، ويكون ذلك بتحديد الأسس النظرية والمنهجية، والوعي بالخلفيات الإبستمولوجية التي نشأت في ضوئها هذه النظريات الغربية الحديثة، ومراعاة ذلك في المستويين: التنظيري، والإجرائي.

ب-على مستوى الغاية والموضوع:

وأما الموضوع والغاية في الخطاب اللساني المعاصر، فهما متعددان؛ ويعود ذلك لتنوع أصنافه: من خطاب تراثي، وتمهيدي، ومتخصص، وهذه الأزمة لها بعد تاريخي، تعود جذورها الأولى إلى الخطاب اللساني النهضوي، فهي موروثة حقيقة عنه، فالأول موضوعه التراث اللغوي العربي الحديث، وغايته إبراز ما وصل إليه من تقدم معرفي في دراسة اللغة ومقارنته بالنظريات اللسانية الغربية الحديثة: ((في محاولة جادة لتأسيس الحاضر والمستقبل على أصول الماضي، وتأصيل البحث اللساني...في أصول الفكر العربي وإقامة ((لجينالوجيا)) هذا الفكر. وبهذا المعنى وحده يبرز الاهتمام بالتراث، وبه يصبح التراث معاصرا لنا))[39]؛ وممّا نتج عن هذه التصورات الإسقاطات التي لم تراع العلوم المتضافرة والخلفيات الإبستمولوجية التي تأسس في ضوئها الدرس اللغوي الغربي الحديث بشتى تياراته واتجاهاته، مثل محاولة مقابلة المصطلحات التداولية: بالمصطلحات والمفاهيم البلاغية باعتماد مفهوم المماثلة والتطابق بينها، وهذا يتعارض مع مبادئ البحث العلمي عموما والبحث اللساني خصوصًا، وتقف وراء هذه الغاية التي ينشدها هذا الخطاب وهي إعادة قراءة التراث، وتأويله وفق النظريات اللسانية الغربية الحديثة؛ وفي هذا عدم التقيّد بمبادئ المعرفة العلمية واللسانيات والتي في مقدمتها الموضوعية والتجرد من الذاتية.

والخطاب التمهيدي أو التعليمي، يتشكّل موضوعه ممّا تقدّمه النظريات اللسانية الغربية الحديثة من إجراءات نظرية ومنهجية، فيعمل على تقديمها للمتلقي العربي واطلاعه على هذه الدراسات اللغوية، باعتماد الخطوات التي يقترحها المنهج التعليمي، ويلاحظ في هذا الصنف ارتباكًا واضحًا في تحديد الموضوع؛ يشير مصطفى غلفان إلى هذا الإشكال عند طرحه له، فيقول: ((إلا أن ما أدرجه المؤلف تحت اسم ((علم اللغة الحديث)) و((علم اللغة العام)) يحتاج إلى وقفة مطولة لإزالة ما تحمله هذه التحديدات من غموض وخلط، هل تندرج الفيلولوجيا وعلم اللهجات وأسماء الأعلام وأسماء البلدان وعلم الاشتقاق التاريخي تحت مصطلح linguistique؟ إنها علوم لغوية مساعدة للسانيات ولكنها ليست بأي حال من الأحوال من اللسانيات العامة))[40]؛ وعليه يعكس هذا عوائقَ إبستمولوجيةً يعاني منها هذا النوع من الخطابات، أساسها الاضطراب في تحديد دلالة المفاهيم والمصطلحات وضبطها؛ وذلك لأن: ((أغلب التعريفات التي تقدّمها الكتابة اللسانية التمهيدية تركّز على موضوع اللسانيات إلا أن الموضوع لا يقدم دائما بالدقة المطلوبة))[41]؛ وسبب ذلك عدم المعرفة بموضوعات هذه العلوم التي تتداخل مع اللسانيات وتحديدها بدقة، مثل: الفيلولوجيا، واللسانيات التاريخية المقارنة، واللسانيات الوصفية؛ وهو ما نتج عنه الغموض والالتباس في ضبط المصطلحات اللسانية.

وبالنسبة إلى الخطاب اللساني المتخصص من حيث الموضوع والغاية؛ قفد وقع في هذه الإشكالية وتتجلّى في: ((ابتعاد الدرس اللساني في معظم حالاته عن موضوعه الحقيقي والمعاصر له ألا وهو اللغة العربية من حيث هي بنية متعددة المستويات))[42]؛ إذ يلاحظ أن اتجاهاته الثلاثة: الوصفي، والتوليدي، والوظيفي، من حيث الإجراء تستعمل شواهد أو نصوصًا من التراث وهذه النصوص قد تمت دراستها في الدرس اللغوي العربي القديم، وفي هذا تغييب لواقع اللغة العربي وتجاوز للموضوع الذي تقتضي المعرفة اللسانية التقيّد به، ومن

أمثلة ذلك ما جاء عند أحد اللسانيين العرب بأن: ((اللغة العربية لا تقبل تتابع فونيمين مخرجهما قريب وإذا حدث وجدنا هذا التتابع في كلمة، فإنها توصف بالغرابة كتتابع الهاء والعين في (هُعخُع) وقد وصفها الخليل بأنها كلمة شنعاء وكتتابع الشين والزاي في كلمة (مستشزرات)...ووصف السبكي هذه الكلمة بالثقل))[43]؛ فهذه قد تعرّض اللغويون القدماء، إذ تقتضي الغاية دراسة نماذج من الواقع اللغوي العربي المعاصر لمعالجة إشكالاته الرّاهنة، وتخدم دراستها الثقافة العربية الحديثة، وتعمل على تقويمها وتوجيهها إلى الصواب، وفق وعي لساني عربي يتقيّد بمبادئ المعرفة العلمية والأطر اللسانية العامة موضوعا وغاية ومنهجا.

يعرف الدرس اللغوي العربي الحديث باعتباره ما قدّمه اللغويون العرب في مجال اللغويات منذ مطلع النهضة العربية الحديثة إلى يومنا هذا، حيث ينقسم وفق المعيار الزمني إلى خطابين: لغوي نهضوي، ولساني معاصر؛ يمتدّ الأول من بداية القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين وله عدة اتجاهات: التقليدي، والمدرسي، والنقدي، والعملي، والتاريخي المقارن، ومن التأريخ الأخير يبدأ الثاني؛ حيث تمّ تصنيفه حسب المعايير الإبستمولوجية الثلاثة: الموضوع، والغاية، والمنهج، إلى ثلاثة خطابات: تراثي، وتمهيدي، ومتخصص، وهذا السالف الذكر ينشطر إلى التيارات المعروفة في اللسانيات الحديثة: الوصفي، والتوليدي، والوظيفي، ويعتري الخطاب اللساني المعاصر العديد من الأزمات تعود جذورها إلى إشكالات تلقي المعرفة اللسانية في مرحلة الخطاب النهضوي، فمنها ما يتعلق بالخلفيات الفكرية، ويتجلّى في الصراع القائم بين الفريقين: دعاة التقليد، وأنصار التجديد، والغايات التي ترمي إليها أنواعه، ولذلك تأثر الدرس اللساني العربي المعاصر بهذه الأزمات، إذ هذه الأخيرة لم تكن وليد الصدفة والاعتباطية؛ بل لها أبعادها وخلفياتها الفكرية والفلسفية والعلمية، التي نمت وتطورت وآتت ثمارها في الخطابين المعهودين، وإليها تعزى أسباب تخلّفه وعدم تطوره وبقائه على هذه الحال المتردية، وذلك باستثناء بعض الكتابات التي كانت على وعي معرفي بالأبعاد الإبستمولوجية للدرس اللساني العام ومبادئه وَأُطُرِهِ والنظريات اللسانية الحديثة: مثل كتابات الفاسي الفهري في حقل اللسانيات التوليدية، وأحمد المتوكل في مجال الوظيفيات، وميشال زكريا، وغيرهم من اللسانيين العرب الذين كتبوا بوعي إبستمولوجي، وَرَاعَوْا الخلفيات الفكرية والفلسفية التي نشأت في ضوئها اللسانيات الحديثة بمختلف تياراتها.

خاتمة:

يقتضي تخطِّي الوضع الرّاهن الذي عرفه الدرس اللغوي العربي الحديث بصنفيه: اللغوي النهضوي، والدرس اللساني المعاصر، ولايزال يعاني من آثاره وإشكالاته، العودة إلى الإطار التاريخي والنظري الذي نشأ فيه واستقرائه والاطلاع على العوامل الفكرية التي حرّكته في اتجاهات متعددة، باعتماد أدوات الحفر والتنقيب الإبستمولوجي، ومعرفة هذه الأزمات، وأسبابها ومدى تأثير إشكالات التلقي الواردة في الخطاب النهضوي في الخطاب اللساني المعاصر، والعمل في ضوء وعي عربي لساني يكون هدفة بناء نظرية لسانية عربية حديثة تواكب التطورات اللسانية التي وصلت إليها نظيرتها الغربية ورسم خارطة طريق للخروج من هذه الأزمات التي تعود أسبابها إلى عوامل مادية واجتماعية متعلقة بواقع العلوم الإنسانية في الثقافة العربية الحديثة بصفة عامة، وأخرى إبستمولوجية، قد أثّرتا في الدراسات اللسانية على وجه أخص.

قائمة المصادر والمراجع:

1. البشير التهالي، الخطاب الاشتباهي في التراث اللساني العربي، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان. ط1، 2013.
2. جان بيرو، اللسانيات، ترجمة الحواس مسعودي مفتاح، دار الآفاق، الجزائر. ط1، 2001.
3. حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن. ط1، 2018.
4. حسيني خاليد، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، مطبعة آنفو، المغرب. د، ط، د، ت.
5. رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، دار المثقف، الجزائر. ط1، 2018.
6. سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات، عالم الكتب، مصر. ط1، 2004.
7. صلاح الدين صالح حسين، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، دار العلوم، السعودية. ط1، 1984.
8. عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت. ط3، 1977.
9. عبد القادر لورسي، المرجع في التعليمية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر. ط1، 2016.
10. على الجارم، مصطفى أمين، النحو الواضح، المكتبة اللغوية، لبنان. د، ط، د، ت.
11. علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان. ط1، 2005.
12. محمد مصطفى زيدان، نظريات التّعلّم وتطبيقاتها التّربوية، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر. د، ط، 1983.
13. مشتاق قاسم جعفر، اللسانيات الرياضية، الأبعاد والمظاهر والمحاولات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن. ط1، 2021.
14. مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن. ط1، 2013.
15. مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، المغرب. د، ط، د، ت.
16. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة يونيسكو، تقدّم اللسانيات في الأقطار العربية، وقائع ندوة جهوية، أبريل 1987، دار الغرب الإسلامي، لبنان. ط1، 1991.

هوامش وإحالات المقال

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، المغرب. د، ط، د، ت، ص 90.

[2] المرجع نفسه، ص 80.

[3] المرجع نفسه، ص 82.

[4] حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن. ط1، 2018، ص 41، 42.

[5] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 82.

[6] المرجع نفسه، ص 82.

[7] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 82.

[8] علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان. ط1، 2005، ص 3.

[9] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 83.

[10] المرجع نفسه، ص83.

[11] جان بيرو، اللسانيات، ترجمة الحواس مسعودي مفتاح، دار الآفاق، الجزائر. ط1، 2001، ص 6.

[12] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 83.

[13] المرجع نفسه، ص 84.

[14] المرجع نفسه، ص 84.

[15] منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة يونيسكو، تقدّم اللسانيات في الأقطار العربية، وقائع ندوة جهوية، أبريل 1987، دار الغرب الإسلامي، لبنان. ط1، 1991، ص 11، 12.

[16] حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ص113.

[17] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 91.

[18] عبد القادر لورسي، المرجع في التعليمية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر. ط1، 2016، ص 21.

[19] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 92.

[20] المرجع نفسه، ص92.

[21] سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات، عالم الكتب، مصر. ط1، 2004، ص 26.

[22] رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، دار المثقف، الجزائر. ط1، 2018، ص 84.

[23] المرجع نفسه، ص 84.

[24] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص17.

[25] حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ص30، 31.

[26] المرجع نفسه، ص31.

[27] مشتاق قاسم جعفر، اللسانيات الرياضية، الأبعاد والمظاهر والمحاولات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن. ط1، 2021، ص19.

[28] حسني خاليد، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، مطبعة آنفو، المغرب. د، ط، د، ت، ص12.

[29] حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ص44.

[30] المرجع نفسه، ص44، 45.

[31] على الجارم، مصطفى أمين، النحو الواضح، المكتبة اللغوية، لبنان. د، ط، د، ت، ج1، ص5.

[32] محمد مصطفى زيدان، نظريات التّعلّم وتطبيقاتها التّربوية، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر. د، ط، 1983، ص24.

[33] على الجارم، مصطفى أمين، النحو الواضح، ج1، ص5.

[34] عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت. ط3، 1977، ص5.

[35] البشير التهالي، الخطاب الاشتباهي في التراث اللساني العربي، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان. ط1، 2013، ص7.

[36] حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ص143، 144.

[37] نقلا عن مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن. ط1، 2013، ص96.

[38] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ص13.

[39] نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ص147.

[40] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص110.

[41] حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ص 126.

[42] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص23.

[43] صلاح الدين صالح حسين، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، دار العلوم، السعودية. ط1، 1984، ص123.